٧٦ - السيدة فاطمة بنت صفوان

سبق إسلامها وزوجها

اسمها فاطمة، والدها صفوان بن أُميَّة بن خلف، وزوجها عمرو بن سعيد بن العاص، كان إسلام فاطمة وزوجها مبكِّراً في مكة ولقيا من عَنَتِ قريش واضطهادها نصيباً موفوراً.

وحين اشتدَّت قريش في بغيها وعدوانها على أتباع رسول الله ﷺ أذن لهم ﷺ بالهجرة إلى بلاد الحبشة، ففيها النجاشيُّ الملك العادل الذي لا يُظلم على أرضه أحدٌ، وذلك ليعبدوا الله آمنين دون أو يُؤْذَوا في دينهم حتى يأتيهم من الله الفرج، وكان خروج فاطمة وزوجها إلى الحبشة في الهجرة الثانية.

وعانت فاطمة وعمرو من وطأة الحصار الذي فرضته قريش على المسلمين وغيرهم من المشركين بعد أن انحازوا إلى شِعب أبي طالب، حيث منعتهم الطعام والشراب، وحرمتهم من حقِّهم في النكاح منهم وإليهم، واضطروهم إلى أكل ورق الشجر حتى تقرَّحت أشداقهم، غير أن بعض أهل المروءة عزَّ عليهم الأكل والشراب والنكاح وبعض أهاليهم وذوو الأرحام منهم محرومون من كلِّ ذلك، فَسَرَّبُوا إليهم في عتمة الليل شيئاً من الطعام والماء يمكِّنهم من مواصلة العيش واستمرار الحياة.

كفر جدها وكيده للمسلمين

كان والد صفوان ويُدعى أُميَّة بن خلف واحداً من سفهاء قريش وأكابر مجرميها الذين تفنَّنوا في تعذيب المؤمنين، وأذاقوهم أمرَّ الآلام، وكان من أبرز معذِّبيه بلال بن رباح الحبشيُّ، فقد كان مولاه أُميَّة يُخرجه في الحرِّ

الشديد إلى الصحراء، ويعرِّيه من ثيابه ثم يضجعه على الرمال الملتهبة، وربما أكرمه ببعض السياط يُلهب بها جسده، أو يجيء بالصخرة الكبيرة فيضعها على صدره حتى يكفر بمحمد، غير أن بلالاً ﷺ أتعب جلاَّديه، وأدهشهم من فرط احتماله للعذاب، وكان أغيظ ما يغيظ به مولاه أُميَّة لحنه الخالد: «أحَدٌ، أحَدٌ» لقد كانت هذه الكلمة تثير جنون أُميَّة وتدفعه إلى مضاعفة عذاب بلال.

واستمرَّ بلال صامداً على إيمانه حتى قيَّض الله له أبا بكرِ الصِّدِّيق ﷺ فاشتراه وأعتقه.

ويوم بدر ظفر بلال بسيده أُميَّة وسيفه يقطر من دماء المسلمين، فهُرع إليه مع بعض أصحابه، ومزَّقوا جسد عدو الله بأسيافهم، وتابع صفوان بن أُميَّة مسيرة والده في الكيد للإسلام والتنكيل بالمسلمين، لكنَّه تدارك وأسلم يوم حنين، وتألَّف رسول الله ﷺ قلبه فأعطاه وادياً مليئاً بالأنعام، وحسُن إسلامه بعد ذلك.

وفاتها في الحبشة

وعاشت فاطمة بنت صفوان وزوجها عمرو بن سعيد على أرض الحبشة في أحسن جوار بعد أن آمن النجاشي، ودخل في الإسلام وصار لهم أخاً وسنداً.

ولكن لم تكن فاطمة تدري أن الحبشة نهاية المطاف، فقد وافتها المنية، وعاد زوجها عمرو إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ الفتح وحنيناً والطائف وتبوك، حتى خرج إلى أجنادين مع عمرو بن العاص فقُتل هناك شهيداً.

رحم الله فاطمة بنت صفوان وزوجها عمرو بن سعيد فقد كانا من الأوفياء بعهد الإسلام، وحشرهما مع خير الأنام، عليه الصلاة والسلام.